



الخطيب : ما رأيت بعد إلا القليل . ثرى  
ماذا كنت تتوكلين أو رأيت الجناح المخصص  
للمتحف وفيه من اندر الرسوم والتحف  
الفنية وأغلامها ؟ أو الاسطبل وفيه من أشرف  
الخياد ؟ أو البركة المكسفة بالأسماك العجيبة ؟ أو  
الاقفاص المنيئة بالطيور من اجمل الانواع ؟ أو  
كلاب الصيد وأسلحة الصيد التي لا مثيل لها ؟ أو  
الملاعب وبركة السباحة ، وحدائق الزهر ،  
والمنزهات البديعة ، والبخوت الانيقة ، وغيرها  
وغيرها ما لا شبيه له في هذه البلاد او اي بلاد ؟  
لو رأيت كل ذلك لطار عقلك .

الخطيبة : ( ضاحكة ) لا اريد ان يطير عقلي .  
وأريد ان ارى صديقك الذي سيرث كل  
هذا المجد . هل هو حقيق به ؟

الخطيب : لو كنت اعرف اين هو لجلت بك به .

الخطيبة : هل هو ذكي ؟

الخطيب : جداً . ولكن ذكاه من نوع خاص .

الخطيبة : مثلاً ؟

الخطيب : مثلاً - سمعته مرة يقول : لو آل  
الى الأمر لما بقي هناك معمل ولا  
قصر .

الخطيبة : ( مذهلة ) م - ن - و - ن !

الخطيب : هكذا يقول غيرك من الناس .  
وانت - لو كنت في مكانه - ماذا  
كنت تفعلين ؟

الخطيبة : كنت ابني قصوراً بالاضافة الى  
هذا القصر ، وأولم في كل يوم وليمة  
لاصحابي ولذوي الجاه في كل مكان - من  
هنا حتى الصين واليابان .

الخطيب : واذا صار الحب من هذه القصور !

الخطيبة : ما أظنه يطير .

الخطيب : بل سيطير حتماً .

الخطيب : ( بنفج ) وماذا ؟

الخطيب : لأن الجاه العريض والحب الاكيد  
نقيضان لا يجتمعان . ذلك يحيا بالتبجح  
وحب الظهور . وهذا بالدعة والتكلم .  
الجاه يقوي بحساسته . والحب يسكت عن عظمته .  
الجاه يمضي . اما الحب فيباق .

الخطيبة : إذن لا كانت القصور .

الخطيب : اتعودين الى الرقص ؟

الخطيبة : على ان نمود الى ها بعد قليل . هيا  
بنا !

( موسيقى وجلبة الراقصين )

## المشهد الثاني

( بعد سنتين . شمشون وماموص أمام  
القصر )

ماموص : الله ! الله يا شمشون ! من  
قال إن هذا القصر سيغدو أصم أبكم في  
خلال سنتين ؟ لا حفلات . لا ولائم . لا وتر  
يتحرك . لا كأس تقرع بكأس . لا خيل . لا  
كلاب . لا طيور . لا انوار تتدفق من الشيايبك .  
سكوت وظلام . ظلام وسكوت .

شمشون : اي ماموص . الدنيا تدور .  
وسبحان مفرق العقول . بين معلمنا الفتى  
وبين المرجوم والده مثلما بين الأرض  
والسواء .

ماموص : امه ، كما يقول الناس ، لا يخلو  
من خلل في عقله .

شمشون : هراء يا ماموص ، هراء . لاتصدق  
كل ما تسمع .

ماموص : ألا تظن ان موت والديه تلك الميتة  
الفضيعة في تلك الطائرة المشؤومة قد أثر في عقله  
الى حد - الى حد ما ؟

شمشون : من يدري ؟ الله وحده يدري .

ماموص : وإلا لماذا فعل بالقصر ما فعل ،  
فباع ما باع من تحفه ورياشه ، وسد  
ابوابه في وجوه الناس ، وصرف جميع  
الخدم إلاك ؟

شمشون : من حيث عقله - ما عرفت  
أعقل منه . وها هو يدير المعمل بحنكة تفوق  
حنكة والده بكثير . فقد قال لي إنه زاد في عدد  
العمال نحو الألفين في هاتين السنتين .

ماموص : لعل الفضل في ذلك يعود الى هذه  
الحرب التي يبدو أنها لن تنتهي قبل ان  
تفنى العالم .

شمشون : قد يكون . اما انه ذو أطوار  
غريبة فلست أخني عليك ، .

ماموص : العلك مرتاح في خدمته يا شمشون ؟  
شمشون : مرتاح . وكيف لا أرتاح وهو  
يعيش عيشة النساك ؟

ماموص : أنت محظوظ يا شمشون . إنه  
يجبك كثيراً . ولولا ذلك لما سرحنا  
كلنا واستبقاك وحدك .

شمشون : اي ، يجيني كثيراً وأحبه كثيراً .  
أحبه حتى العبادة . وأخشى ان يكون في حبي له  
ما يغضب ربي علي . اما قيل : لا تعبدوا رين ؟  
وقد اوصاني ان لا احاطبه بقولي « يا سيدي » بل  
« يا ابي » . وهو يخاطبني بقوله « يا أبت » .

ويأبى أن يأكل إلا اذا جلست معه الى المائدة .

ماموص : هنيئاً لك يا شمشون . ليتني أحظى  
بسيد مثل سيدك .

شمشون : ولكنني مشغول البال عليه في هذه  
الايام . إنه يهزل يوماً بعد يوم . ينوب  
كالشمعة . أو هكذا يترأى لي من فرط  
تعلقني به .

ماموص : لعله مريض يا شمشون . اما  
استشار طبيباً ؟

شمشون : ما ادري يا ماموص . إنه لا  
يخفي عني شيئاً إلا هذا الشيء الذي يقلق  
بالي ويحزني الأكل والنوم . وانا لست اليوم  
شمشون النشيظ الذي تعهد . فلم يبق بيني وبين  
القبر الا القليل .

ماموص : لا تهتم وتغم الى هذا الحد يا  
شمشون . هي حالة وتمضي . إي . كانت لنا  
ايام جلوة في هذا القصر . صحيح انه لا يمضي  
يوم ويأتي مثله .

شمشون : الحق معك يا ماموص . ما نفعي  
من الهم والغم ؟ ولكنني لا استطيع  
إلا ان أغم وأهم . ولكم خاطبت نفسي فقلت :  
شمشون ! من انت يا شمشون لتدبر الكون على  
هواك ؟ إن للكون رباً يدبره . وهو يحيي من يشاء  
ويميت من يشاء . اما انت فزنجي حقير ، فقير .  
هكذا احاطب نفسي . ولكنني ما إن تقع عيني على  
معلمي الحبيب ، أبصر هزاله ، حتى أنسى كل  
شيء - حتى أبانا الذي في السماوات .

ماموص : أنك طيب القلب جداً يا شمشون .  
وتؤمن بالله من كل قلبك وفكرك .  
هنيئاً لك .

شمشون : أتعني يا ماموص أنك لا تؤمن ؟

ماموص : هه . هه ... ماذا اقول يسا  
شمشون ؟ هذه اخرب زعزت إيماني .

شمشون : لا . لا يا عزيزي ماموص . كن  
مؤمناً . لا خير في عالم لا إله له .  
كن مؤمناً يا اخي ماموص .

ماموص : ( بتردد ) شمشون ! أريد ان  
اقول لك شيئاً .

شمشون : قل يا اخي ماموص .

ماموص : أنت وحدك في هذا القصر . وانت  
مؤمن على كل شيء . وانت فقير مثلي .  
وأمامك شيخوخة . فلماذا لا تدخر شيئاً  
اشيخوختك ؟ لا تكن مغفلاً مثلي . هذه فرصتك  
فاغتنمها .

شمشون : ماذا تعني يا اخي عاموص ؟

عاموص : (همساً) اعني ... اعني ياشمشون..  
مان كثير . خير كثير . وانت ، كما  
قلت ، فقير . خذ حاجتك . خبيء مسا  
استطعت . ومعلمك ان يدري من الأمر شيئاً .  
هذه نصيحة صديق .

شمشون : ( يتنفض كالسروع ) استغفر الله !  
استغفر الله ! ماذا تقوى يا رجل !  
شمشون يخون ؟ معاذ الله ؟ انصرف من هنا يا  
اخي . انصرف وصل لرَبك ليغفر لك خطيئتك  
وخطاياي .  
عاموص : أنت أجهل من صبب ياشمشون .  
يا لصياح انه يحيي . ان تراني بعد اليوم .

### المشهد الثالث

( مساء اليوم الثاني . شمشون وسيده على  
العشاء )

شمشون : مهدي بك تحب اليمك المشوي يا  
بي . وقد أحضرت لك سمكة تتازة  
لعشائك . وها انت لم تذقتها .

الفتى : شبعتم . ولا حاجة بي الى اكثر .  
شمشون : ( بهدشة قلقة ) شبعتم ؟ ! وما  
رأيتك تتناولت شيئاً . لا دقت اليك  
الرومي . ولا السمكة . ولا الفطائر . ولا  
شيئاً من الحلوى .

الفتى : أكلت من سلطة الفاكهة فاكنتيت  
شمشون : ( بصوت متلجلج ) حيرتني يا  
ابني . حرمتني النوم . انت تذوب  
وتذييني معك .

الفتى : ( بعد فترة من الصمت ) شمشون !  
يا أبت شمشون !  
شمشون : نعم ؟ يا بني .

الفتى : أراي سمعت حتى لأكاد أنشق .  
شمشون : ( يضحك ظاناً أن سيده يمزح )  
تبارك الله يا بني . لقد سمعت الى  
حد اني انا العجوز لو نفخت عليك لظرت في  
اهواء ... أتشكو مرضاً يا ابني ؟  
الفتى : اجل يا شمشون . إن بي لمرضاً  
قنالا .

شمشون : ( مذعوراً ) وما هو مرضك ؟  
الفتى : هو مرض الذين ما بهم مرض .

شمشون : لا تسخر مني يا بني .  
اخبرني الحقيقة . الملك منيت بخسارة  
كبيرة في اشغالك ؟  
الفتى : بل منيت بارياج كثيرة ياشمشون .

شمشون : إذن ما بالك تذوب وتذييني معك ؟

الفتى : أواه لو ادري .  
شمشون : العلهما الحرب وأخبار الحرب  
تعبت بافتكارك وراحتك ؟  
الفتى : شمشون ! يا أبت شمشون ! صل  
من اجلي .

شمشون : في كل يوم وكل ليل اصلي يا ابني .  
ليت الله يسمع صلواتي .  
الفتى : صل الليلة يا شمشون . صل  
بحرارة . تصبح بخير .  
شمشون : وأنت بخير يا ابني .

### المشهد الرابع

( فجر اليوم الثاني . تراقف هذا المشهد من  
اوله وحتى اختفاء الصوت موسيقي  
خشوعية بعيدة خافتة . صوت من الغيب  
بهدهوء ورهبة )

الصوت : شمشون !  
شمشون : ( مأخوذاً ومضطرباً ) من ؟ من  
هذا ؟

الصوت : شمشون !  
شمشون : انت يا ابني ؟  
الصوت : شمشون ! خذ ورقة وقلماً واكتب .  
شمشون : ربي ! ربي وإلهي !! من اين  
هذا الصوت ؟ صوت ما سمعته في  
حياتي . وكأذ آت من الهواء .

الصوت : خذ ورقة وقلماً واكتب .  
شمشون : مهلاً . مهلاً ! دعني اذير الضوء .  
ها هي الورقة . ها هو القلم . تكلم .  
الصوت : اكتب .

أيهما السارقون نوم الخزان ، كيف تهجمون ؟  
أيهما اللابسون عري اليتامى ، كيف تدنأون ؟  
أيهما الكارعون ري العطاشى ، كيف تنقعون ؟  
أيهما الآكلون خبز الجياع ، كيف تشبعون ؟  
أيهما الراضعون ثدي النكالى ، كيف تسمنون ؟  
أيهما السائقون ظعن المنايا ، كيف تهزجون ؟  
أيهما المستحمون بالدم الحي ، كيف تطهرون ؟  
أيهما المدجون ، إذ يقبل الفجر ، أين تدبرون ؟  
أيهما البائعون سم الأفاعي ، هل سوى السم  
تربحون ؟

( هنيهة سكوت ، تسمع في خلالها انفاس  
شمشون المتقطعة ، المضطربة . يرن  
الجرس الكهربائي )

شمشون : أخشى ان يكون الصوت قد  
أيقظه . إنه يدعوني . ويحيي ! لقد عكرت  
عليه نومه .  
( بعد قليل نقرة على باب )

الفتى : ادخل يا شمشون . ادخل يا ابني .  
شمشون : ليعتني لم اكن . لقد اقلقتك من غير  
شك -- ومع الفجر .

الفتى : لم تقلقني لانني لم أتم . واكنني  
سمعت صوتك وكأنك تتحدث الى أحد  
الناس . فمن عساه يكون ؟ ما الخبر ؟  
شمشون : ( متلفتاً ) لا شيء . لا شيء .  
الفتى : ( بلهجة العاتب والمستغرب ) شمشون !  
شمشون : ( يزداد ارتباكاً ) لا شيء . بل  
شيء غريب . لن تصدقني يا ابني . لا اصدق نفسي .  
شيء غريب جداً ، جداً .

الفتى : زدني شوقاً . هات ما عندك . هل  
صليت قبل النوم من أجلي ؟  
شمشون : صليت يا ابني . صليت كثيراً .  
واهل ما جرى كان جواباً اصلائي .

الفتى : تكلم . تكلم .  
شمشون : ( مرتبكاً ) كنت يا ابني ... كنت  
حتى دقائق قليلة نائماً نوماً عميقاً .  
وإذا بصوت يتناديني : شمشون ؟ صوت جلي ،  
ناعم ، فيه رهبة وسلطان . ظننت للوهلة الأولى  
أذك انت يا ابني تتناديني . فذعرت خشية ان تكون  
في ضيق ... في وجع ، لا قدر الله . ولكني ، من  
بعد ان ملكت روعي ، ايقنت ان الصوت لم  
يكن صوتك .

الفتى : صوت من إذن ؟  
شمشون : لست أدري يا ابني . صوت  
غريب فيه رهبة وسلطان ووفاء . وكأنه  
كان ينصب علي من فوق -- من السقف .

الفتى : صوت ولا متكلم ؟  
شمشون : اجل . صوت ولا متكلم . وهاهي  
الرعدة تلازميني حتى الآن . قد يكون مني  
الشیطان يا ابني . من يدري ؟

الفتى : امض في حديثك .  
شمشون : ناداني باسمي ثلاثاً . وفي الثالثة  
قال لي : خذ ورقة وقلماً واكتب .  
قالها بلهجة لا تقبل الرد .

الفتى : وهل كتبت ؟  
شمشون : أجل . كتبت . ولكنني لم افهم ما  
كتبت .  
الفتى : وأين الذي كتبتة ؟

شمشون : سأتيك به . ( بعد هنيهة ) هاهي  
الورقة يا ابني . اقرأها . لعلمك  
تفهمها . اما انا فما فهمت منها شيئاً .

( فترة سكوت على قدر ما تحتاجه قراءة  
الورقة )  
الفتى : ( بصوت غاضب ) شمشون !  
شمشون ! من علمك فن التدجيل ؟ ومتى ؟

(شمشون لشدة انفعاله بغضب سيده و همته  
الباطلة يهذي بمقاطع لا معنى لها ثم يقع  
مغمياً عليه ، فيسمع لوقع جنمه على الأرض  
صوت )

الفتى : ويحي ! ويحي ! لقد ظلمت دنا  
القديس . اقم اعني عليه . ( مضطرباً )  
شمشون ! شمشون ! يا أبت شمشون ! افتح  
عينيك . انظر الي . تكلم . ساخني . اغفر لي يا  
أبت . لقد أسأت اليك ، إذ أسأت الضن في  
شمتك واخلاصك . عد الي يا شمشون ، وقل  
إنك غفرت لي .

( بعد فترة يحاول فيها الفتى رد شمشون  
الى وعيه )

شمشون : ( بصوت متعب ) آ ! أصابني  
دوار من غير شك . بئست الشيخوخة ...  
الفتى : ( بلهفة ) هل استعدت وعيك  
وقوتك ؟ هل تشكو وجعاً ؟ اغفر لي  
يا أبت . اغفر لي .

شمشون : هون عليك يا ابني . شمشون لا  
يزال شمشون . دوار طفيف .  
بئست الشيخوخة . دعني امضي الآن واعد لك  
فطورك .

الفتى : اريد ان ابقى اليوم بغير فطور .  
حسبي فنجان من القهوة . واكني  
اريد ان استحم .

شمشون : حسن . إذن امضي وأعد لك الحمام  
اولاً . ومن بعد الحمام القهوة .

( سكوت . ثم يسمع صوت الماء ينصب  
في المغطس )

الفتى : عجيب هو ما جرى لشمشون .  
وعجيب ما كتبه في هذه الورقة :  
« أيها البائعون سم الأفاعي ، هل سوى السم  
ترجون ؟ »

شمشون : الحمام جاهز يا ابني .  
( بعد فترة من السكون يسمع الجرس  
الكهربائي من الحمام . شمشون يهرول  
متمتماً )

شمشون : ( مدعوراً ) ويبي ، ويبي ، !  
ماذا فعلت يا ابني ؟ قطعت وريدك ! ...  
تريد الانتحار ؟ ...

الفتى : لا تجزع يا شمشون . وقل لي :  
من أين لهذا الماء لون الدم ؟

شمشون : كان أصفى من عين الديق يا ابني  
عندما اطلقته في المغطس . أقسم بالأب والأين  
والروح القدس . يكاد عقلي يطير .

الفتى : هذا صباح كله عجائب . وانا  
كذلك أبصرت الماء صافياً . ولكنني

ما إن غطست فيه حتى انقلب أحمر قانياً .

شمشون : ربي والهي ! زبي والهي !  
دعني أفرغ المغطس واملاه من جديد  
( يسمع صوت المساء )

الفتى : ارجع الآن الى شغلك يا شمشون .  
وليعطنا الله بركة هذا الصباح .

( بعد فترة يسمع جرس الكهرا بءثانية )  
شمشون : ( مهرولاً ) تبارك اسمك يا ربي .  
اي مشكلة جديدة تنتظرنني الآن ؟ ما هذا ؟  
ما هذا يا ابني ؟ اكاد أفقد صوابي .  
عاد الماء دماً ؟ !

الفتى : ( ببرودة ) عاد الماء دماً يا أبت :  
شمشون سأستغني عن حمامي . لقد فهمت .  
وكان علي أن أفهم من زمان .

شمشون : وماذا فهمت يا ابني ؟ أفهمت  
السر ؟ بالله اكشفه لي .

الفتى : فهمت ما أملاه عليك الصوت .  
أما قال في جملة ما قال : « ايها المستحمون  
بالدم الحلي ، كيف تطهرون ؟ »  
شمشون : لست اذكر شيئاً ما قال .

الفتى : اما انا فاذكر . عد الى شغلك يا  
شمشون . وسامضى انا الى شغلي  
وقريباً ينكشف لك كل شيء .

### المشهد الخامس

( انتصف الليل وشمشون جالس على مقعد  
في حديقة القصر ينتظر أوبة سيده ، وقد  
مال القمر الى الغروب )

شمشون : ليتني مت يوم مات والدا .  
ليتني ما احببته الى هذا الحد . لن استطيع  
العيش ساعة من بعده . هاقد انتصف الليل ولم يعد .  
ربي اطرد الأشباح السود من فكري وقلبي .  
ربي تسلم روحي قبل ان تمسه بسوء ...  
( يسمع هدير سيارة تقرب )

الحمد لك يا ربي . ثم الحمد لك ، لقد جاء  
( يهدأ هدير السيارة )

الفتى : ( بصوت هادئ يقطر عدوية )  
جلبت لك هموماً كثيرة اليوم يا  
أبت شمشون . ولعلل انتظارك لي هذه الليلة كان  
انقلها . وأرجوان يكون آخرها .

شمشون : كل الهوموم هون يا ابني ، على ان  
تبقى انت في صحة وسلام .

الفتى : الصحة عرفتها من قبل . اما السلام  
فلم اعرفه حتى اليوم .

شمشون : ( وقد سري عنه ) نشكر الله يا  
ابني . نشكر الله .

الفتى : ما قولك لو جلسنا معاً على هذا  
المقعد وتسامرنا مع القمر الى أن يغيب ؟

شمشون : والأسكل يا ابني ؟ والتعب ؟

الست ترغب في حمام ساخن وعشاء لذيذ ؟  
الفتى : أحسني الآن نظيفاً ، ومرتاحاً ،  
وفي غنى عن الطعام . ( هنيهة سكوت )  
شمشون ، يا أبت شمشون ! أما تراني سمنت  
مذ الصباح ؟

شمشون : ( ضاحكاً ) حقاً يا ابني انك الآن  
غيرك في الصباح .

الفتى : خير الدواء ان تهتدي الى الداء  
فتقضي عليه . وبمعونتك قد اهتديت الى مكن  
ادوائي . فهتني يا شمشون .  
شمشون : الحمد لله يا ابني .

الفتى : شمشون ، يا أبت شمشون ! اذا  
انا صنعت خنجرأ ، ثم بعتهك لإياه عالماً انك  
ستقتل به إنساناً من الناس ، ثم قتلت به ذلك  
الانسان . أفلا أكون شريكك في القتل ؟

شمشون : من غير شك يا ابني .  
الفتى : إذن كنت على صواب في ما فعلت .  
شمشون : وماذا فعلت يا ابني ؟ اتعني انك  
قتلت احداً ؟

( تنطلق بغتة انفجارات مدوية وتتلأ في  
فترات قصيرة ، متقطعة )

شمشون : ( مدعوراً ) ربي ! .. إلهي ! ..

ربي وإلهي ! انظر الالهيب يا  
ابني ... انظر الدخان ... هناك - هناك حيث  
المعمل . - المعمل يا ابني ... المعمل ... إنه  
يحترق . يا للخراب ! يا للخسارة ! يالشاةة  
ألساد والمبغضين ! .. اهرب .. لهرب من

الشظايا ... ربي وآلهي !  
الفتى : هون عليك يا أبت . هون عليك .

شمشون : ليتني لم اكن ... ليتني لم اولد ...  
الفتى : اسمع يا أبت شمشون . كيف

ترجو أن تتناح بالسم الزعاف شهدأ  
شهبأ ؟ لقد انهرق السم . فأحلاها خسارة ! قل  
معي : إقبل اللهم قرباني !

شمشون : انا رجل جاهل . انا رجل بسيط .  
امسك بقلبي يا ابني . انه يهرب مني ...

الفتى : بل امسكك انت بقلبك يا أبت  
شمشون . ولا تدعه يهرب منك . وخذ  
هذه الورقة التي كتبها عند الفجر ، وألصقها  
على باب القصر . وتعال معي الى الزهر حيث  
ينتظرنا الزورق بفارغ الصبر . فلكل ليل  
فجر . ومع كل فجر نهار جديد .

المذيع : وانبلج الصبح عن أنقاض المعمل  
الشهير والنار لا تزال تلهو . ببقاياها .  
وعن زورق صغير يجري حثيثاً نحو أرض  
محبوبة إلا عن الابطال والتائهين .

ميخائيل نعيمة